ماذا لو كانت جوزيفين بيكر عربية

جوزيفين بيكر تدخل البانتيون من الباب الكبير وأمثالها يعانون الرجم والتكفير

التكفيريون في العالم العربي يلاحقون المبدعين في قبورهم

مقبرة العظماء أو كما تسمى مقبرة "البانتيون" الفرنسية تضم رفات عظماء الحضارة الفرنسية من مثقفين وأدباء وعلماء وغيرهم من المؤثرين، إنها ليست مجرد مقبرة بل ذاكرة أمة وفخرها، فيما لو قارنا اعتزاز الفرنسيين بحضارتهم وروادها ومعاملة العرب لعظمائهم نرى فرقا شاسعا، بين من يقدس قادة التنوير والحضارة ومن ينكّل بهم أحياء وأمواتا.

حكيم مرزوقي
كاتب تونسي

من يمنح القيمة المضافة للآخر: السمعة البروتوكولية لمقبرة "البانتيون" الفرنسية أم العظماء الذين تستريح رفاتهم فيها؟

هل يمكن أن تُتهم المقابر أيضا بالعنصرية والفرز الطبقي، والانحياز لفئة دون أخرى؟ ومن يقف عند بابها كي يُدخل من يشاء ويحرم من يشاء، بحسب مزاجه وقائمة الشروط التي يجب أن تتوفر لدى كل مقيم جديد أم أن هذا السؤال لا يعني الذهنية الغربية؟

كيف يرقد عظماؤهم وكيف يرقد عظماؤنا ـ نحن العرب ـ من رموز وطنية وثقافية، ولماذا تعاد محاكمة الكثير من الأسماء اللامعة في التاريخ العربي، وتقع إدانتها بدل تكريمها؟

جالت هذه التساؤلات بخاطري وأنا أتابع قرار الرئاسة الفرنسية نقل رفات الفنانة الأميركية الفرنسية جوزيفين بيكر (1906–1975)، الوجه البارز في المقاومة الفرنسية ومكافحة العنصرية، إلى البانتيون، هذا الخريف، لتصبح أول امرأة سوداء ترقد في "مقبرة العظماء" وهي أيضا، واحدة من ست نساء كان آخرهن امرأة الفكر والتصوف سيمون فايل، عام 2018.

النجمة السوداء

جوزيفين بيكر فنانة استعراضية سوداء إذن، ستشارك قلة من بنات جنسها الإقامة بالبانتيون في الحي اللاتيني بباريس، والتي تعني باليونانية القديمة "مجمع الآلهة".

وستجاور هذه المرأة التي ساهمت في المقاومة ضد النازية، رجالا مثل ميرابو، فولتير، هيغو، روسو، زولا، سانت إيكزيبري، أندريه مالرو، وغيرهم من عظماء فرنسا الذين قدموا للبشرية، وعمل قسم كبير منهم على حراسة قيم الجمهورية ومبادئ الثورة الفرنسية من موقعه دون مفاضلة أو تمييز.

جاء هذا القرار التكريمي إثر عريضة ضمت الآلاف من التوقيعات، وقدمتها شخصيات مشهود لها بالفاعلية والحضور اللافت في عوالم الأدب والفن والنشاط الحقوقي، بالإضافة إلى أفراد عائلة الفنانة الذين وافقوا على نقل رفاتها من مدينة موناكو حيث ترقد منذ عام 1975.

وجاء في نصّ العريضة أن الفنانة كانت أوّل نجمة عالمية سوداء ملهمة للحركة التكعيبية ومشاركة في المقاومة خلال الحرب العالمية الثانية في صفوف الجيش الفرنسي، عدا أنها مناضلة مع مارتن لوثر كينغ من أجل الحقوق المدنية في الولايات المتحدة وأيضا في فرنسا إلى جانب ما بات يُعرف لاحقا بالاتحاد الدولي لمناهضة العنصرية ومعاداة السامية.. وبسبب ذلك كله، تستحقّ جوزيفين بيكر أن تكون في البانتيون.

يطرح هذا التكريم الذي يسعف الأموات من النسيان ويخلدهم في أعلى مراتب التكريم، أكثر من سؤال حول الالتفات إلى وضع الفنانين والمبدعين العرب بعد وفاتهم.

> الفنانة كانت أوّل نجمة عالمية سوداء ملهمة للحركة التكعيبية ومشاركة في المقاومة الفرنسية خلال الحرب العالمية الثانية

المتطرفون الحاقدون

هل نبالغ القول إذا اعتبرنا أن غالبية من أهل الفكر والفن والإبداع في العالم العربي، قد وقع قتلها قبل أن تدركها الوفاة، وأن بلداننا عربية كثيرة لم تكتف بإهمال وتجاهل عظمائها فقط بل سعت إلى محوهم من الذاكرة الثقافية والوطنية لمجرد أنهم لا يروقون للمسؤولين عن جهات الإشراف، ولا يتوافقون مع أمزجتهم وآفاقهم الضيقة والحاقدة.

طبعا لم تخصص السلطات العربية مقابر ومدافن في حجم البانتيون لتكريم مبدعيها وتخليد ذكراهم بعد وفاتهم بل غض بعضها الطرف عن الإهانات التي تعرض إليها رجالات ـ ونساء ـ فن وإبداع لم ينعموا بالراحة الأبدية وهم يرقدون في قبورهم.

الأمثلة في هذا المجال كثيرة ومتفرقة على امتداد العالمين العربي والإسلامي، خصوصا بعد حالات الهياج والانفلات التي أصابت دول ما يعرف ببلدان الربيع في العشرية الأخيرة، على أيادي الجماعات السلفية والإخوانية المتطرفة.

مثلا، تعرض إلى الهدم والتدنيس قبر المصلح والمفكر التونسي الطاهر الحداد (1899 ـ 1935) الذي يرجع له الفضل في إرساء فكر تحرير المرأة. وكان اسم هذا العلم الكبير قد تعرض إلى الإهانة والإساءة في حياته ومماته، أضف إلى ذلك مجموعة من قبور ومقامات تخص الرموز الوطنية والفكرية والروحية والفنية مثل العالمة الصوفية السيدة المنوبية، والمغنية اليهودية حبيبة مسيكة.

وكذلك عبثت أيادي المدنسين من المتطرفين بقبور ومقامات في بلدان أخرى مثل ليبيا والجزائر وسوريا والعراق، أما إيران فلم تسلم فيها قبور الشعراء والكتاب والفنانين المعارضين لنظامها السياسي من الهدم والتشويه، فضلا عن اضطهاد البهائيين وتخريب مقابرهم في اليمن بإيعاز من طهران.

الذين استقرت رفاتهم في مقبرة البانتيون بالعاصمة الفرنسية باريس، صاروا أشبه بالقديسين، فلا تطالهم التشويهات ولا يُسمح بالتعدي على كرامتهم أو التعرض لحياتهم الخاصة بالتجريح، ذلك أنهم جزء من فخر الأمة وفق الدستور الفرنسي، أما في الكثير من بلدان العالم الثالث، فلا يكتفي المتطرفون الحاقدون بتركهم يستريحون في قبورهم بل عمدوا إلى التعدي على كرامتهم في الحياة والممات.

وصلت "فانتازيا التطرف" إلى حدّ قطع رؤوس تماثيلهم القليلة، تهشيمها والتنكيل بها وهي على هيئة معادن وحجارة كما فعلت داعش بتمثال أبي العلاء المعري في معرة النعمان السورية.

الأدهى والأمرّ أن الورثة من أسر كبار المبدعين والمفكرين والإصلاحيين في العالم العربي قد ساندوا دعوات التكفير والتخوين التي أطلقها المتطرفون والسلفيون ضد أسلافهم، ومنعوا حتى السلطات المحلية من إقامة التماثيل لهم بدعوى أنها محرمة، كما حدث مع أقارب أبي القاسم الشابي والطاهر الحداد في تونس، على سبيل المثال لا الحصر.

رامبو خارج المقبرة

في المقابل، فإن فرنسا في شخص رئيسها، ترفض إدخال رفات أرتور رامبو إلى مقبرة العظماء احتراما لرغبة عائلة الشاعر. وكتب ماكرون لمحامي الأسرة في رسالة مؤرخة الأربعاء "لن يتم نقل رفات آرثور رامبو" من مقبرة عائلة شارلفيل-ميزيير، ذلك أن دخول البانتيون، في نظره، يهدف إلى "تكريم شخصيات ساهمت التزاماتها في التعبير عن قيم الجمهورية"، وأكد أنه لا يرغب في "السير بعكس إرادة عائلة الراحل" نظرا إلى "الدور الخاص للبانتيون في بناء ذاكرة جمهورية مشتركة".

وأوضح أن رامبو "سيبقى مدفونا إلى جانب عائلته في مدافن العائلة في مقبرة شارلفيل-ميزيير، مسقط رأسه وآخر مكان أقام فيه"، واصفا إياه بأنه "شخصية رئيسية في الأدب الفرنسي، وشاعر مهم جدا وصاحب روح متمردة"، و"اسمه جزء مستمر في تاريخ فرنسا".

وبالعودة إلى سيرة المحتفى بها جوزيفين بيكر، في مقبرة العظماء، والنظر إلى "مدونة سلوكها" قليلا، يلحظ المواطن العربي التقليدي أن سيرة هذه الفنانة "ليست مشرفة جدا" من وجهة نظر المجتمعات التي نعيش فيها: فتاة من عائلة معدمة، زُوّجت مرتين في الخامسة عشرة ثم فرّت من عائلتها ملتحقة بفرقة للمسرحيات الشعبية.

هل كانت هذه السيرة ستقنع السلطات العربية وتعتبرها واحدة من أهم الشخصيات الوطنية والتاريخية الجديرة بأن تحتوي مقبرة العظماء رفاتها لو كانت جوزيفين فتاة عربية؟ سؤال في ذمة التاريخ الحديث والمعاصر.

«كارولين» رواية أبطالها عالقون في عرض البحر

دمشق – حكاية السفينة السياحية البريطانية أميرة الألماس التي اعتبرت مطلع العام الماضي ثالث بؤرة لتفشي فايروس كورونا على مستوى العالم، كانت بمثابة الملهمة التي دفعت الأديبة السورية إيمان شرباتي لتأليف روايتها "كارولين".

وتتضمن الرواية كثيرا من الحالات الاجتماعية والحياتية في الوطن العربي والعالم تظهر من خلال سفينة سياحية تسير في عرض البحر، تقل المئات من البشر وتتعرض للحجر الصحي جراء إصابة العديد منهم بفايروس كورونا.

وتتشابك أحداث الرواية وحكايات شخوصها الذين ينتمون إلى جنسيات عديدة من كارولين البطلة الأولى في الرواية إلى إيزابيل والقبطان وإنجي مصممة الأزياء والأستاذ راكان، لتطرح من خلالهم قضايا توحّد رؤى الإنسان الحقيقي وتزيل من أمامه كل عوامل الاختلاف لجهة العرق والدين والجنس، ليتوحّد الجميع في روابط من التواصل الأخلاقي والإنساني والوفاء.

ونجد في الرواية أنه عندما وجدت المحبة لم يختلف الإيطالي والفلسطيني والجزائري، وتعايش الجميع في السفينة أمام هدف واحد هو الوصول إلى الأمان من خلال طرح قضاياهم المختلفة ووسائل عيشهم وحياتهم وسبل مواجهة ظرفهم الصعب.

الرواية هي نتاج سرد تخييلي جمع بين الواقع والدلالات فوظفت الكاتبة اللغة في تقنيات الرواية بشكل يتنامى من أجل إنجاح الحبكة وتحقيق توازن موضوعي برغم تشعب الأحداث.

وتنقلت أحداث الرواية متحركة إلى نهاية مفتوحة وإلى وقوف الإنسان والمجتمع في السفينة أمام جائحة كورونا، التي تفشت في العالم وفقدت البشرية السيطرة عليها.

ويذكر أن الرواية الفائزة في الجائزة الأولى في مسابقة التكافل الاجتماعي في زمن كورونا للإبداع الروائي والتي أعلن عنها وتكفل بها الدكتور محمد الحوراني، طبعت في دار بعل للطباعة والنشر وتقع في 150 صفحة من القطع المتوسط.

«كلمات» تقدم 500 كتاب للأطفال المكفوفين

الشارقة – أعلنت "مؤسسة كلمات" عن توزيع 500 كتاب صوتي ومطبوع بطريقة برايل وحروف كبيرة على الأطفال المكفوفين وضعاف البصر في دولة الإمارات، بهدف الاستمتاع والاستفادة من أوقاتهم خلال العطلة الصيفية وتحفيزهم على حب القراءة والتعلّم.

تأتي هذه الخطوة ضمن الحملة الصيفية لمبادرة "أرى" التي أطلقتها المؤسسة في 2017 وتستهدف خلالها الأطفال ممن تتراوح أعمارهم بين 5 و12 عاما لتيسير وصولهم إلى مصادر العلم والمعرفة، وإثراء تجربتهم التعليمية.

ونفذت مؤسسة كلمات الحملة بالتعاون مع كلّ من جمعية الإمارات للمعاقين بصريا ومقرها الشارقة، والمعنية بتسهيل دمج المعاقين بصريا في المجتمع، ومؤسسة زايد العليا لأصحاب الهمم ومقرها أبوظبي، والتي تضم تحت مظلتها جميع الهيئات الإنسانيّة ومؤسسات الخدمات الاجتماعية والمؤسسات المعنية بأصحاب الهمم في أبوظبي.

وقالت آمنة المازمي مدير مؤسسة كلمات تماشيا مع توجيهات الشيخة بدور بنت سلطان القاسمي مؤسس ورئيس مؤسسة "كلمات"، "نلتزم بتيسير مصادر التعلم لكل طفل تعزيزا لرسالتنا الرامية إلى إثراء حياة الأطفال بالعلم والمعرفة والتجارب الثقافية المتنوعة ويعتبر تقديم 500 كتاب للأطفال المعاقين بصريا ضمن حملة 'أرى صيفي أجمل' خطوة مهمة نحو دعم قدرات هؤلاء الأطفال وتلبية احتياجاتهم التعليمية الخاصة في إطار هدف أوسع يتمثل بإتاحة فرص التعلم أمام الجميع".

وقال عادل الزمر رئيس مجلس إدارة جمعية الإمارات للمعاقين بصريا "يعتبر الوصول إلى الكتب وفرص التعلم أمرا حيويا للأطفال المحرومين من تجربة التعلم المشترك، وقد أسهم تبرع مؤسسة كلمات بالكتب الميسرة في دعم جهودنا لتوفير بيئة تعليمية شاملة ومتكاملة في الدولة تقدم لشريحة أوسع من الأطفال تجربة معرفية غنية وتركز على تنمية شغفهم بالقراءة".

> المبادرة تأتي تعزيزا للرسالة الرامية إلى إثراء حياة الأطفال بالعلم والمعرفة والتجارب الثقافية المتنوعة لتحدي الإعاقة

وقالت ناعمة عبدالرحمن المنصوري، مدير إدارة رعاية المكفوفين بمؤسسة زايد العليا لأصحاب الهمم، "ساهمت إدارة رعاية المكفوفين بمؤسسة زايد العليا لأصحاب الهمم بالتعاون مع مؤسسة كلمات في توزيع وإيصال الكتب الميسرة باللغة العربية إلى منتسبيها في المؤسسة من ذوي التحديات البصرية، حيث يهدف هذا التعاون إلى تشجيع ذوي الإعاقة البصرية على قراءة الكتب الميسرة مما يساهم في إثرائهم بالمعرفة والثقافة بالإضافة إلى تعزيز وتطوير مهارة القراءة لديهم، ونتقدم بالشكر لمؤسسة كلمات على هذه المبادرة الطيبة والتي سيكون لها أثر بارز في رفع الحصيلة المعرفية والثقافية للأطفال من ذوي الإعاقة البصرية وتعزيز مهارات القراءة والكتابة لديهم".

يشار إلى أن مؤسسة كلمات أطلقت مبادرة "أرى" بهدف تعزيز الوعي بقضايا الأطفال المكفوفين وضعاف البصر وإثراء تجاربهم التعليمية وتشجيعهم على المشاركة في مختلف البرامج الثقافية والمعرفية في دولة الإمارات، كما عملت المؤسسة على دعم جهود إصدار كتب ميسرة باللغة العربية وتوعية الناشرين وتعريفهم بالتقنيات المستخدمة في هذا المجال.

كتب ميسرة للأطفال